عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر ما اغتد به نصر بمساعيه

عند ابي طالب فغسل به وجه حاله وجلا عليه صفحة اقباله ونهض

عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة ابي طالب في ثلثة الاف

رجل مدد النصر وعقدت له الاصفهندية على جبل شهريار وقتلقاه

نصر الى دنباوند وساعده على صعوده واستدراك حدوده ولجاء

الاصفهند شهريار الى سارية وبها منوچهر بن شمس المعالي معتصما

بعقوبة ومعتصرا لعروته فاصاب اهل قومس غلاء عم ملاؤه وشمل

الكافة داؤه وسيبه بسط الايدي بالغارات وانتهاب ما

اودعته الرعايا للادماق من الاقوات فاضطر الى الانصراف

عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل فلم ينهنه

الاصفهند عند انقلابه ان ركض على رستم واجلاه عنها الى حدود

الوي منحوبا منكوبا ومخذولا مفلولا فصفت له ناحيته واحتشمت

عنه شذاذ نصر وعادیته فكان ابو نصر احمد بن محمود الحاجب

قد الجاء بعض المحن التي دهته الى خدمة شمس المعالي فمهّد له

كنفه وحكّم في اصطناعه شرفه ووالى الصنايع والرغايب اليه

وامداه من الاموال بديه وسهّل ركوب المطالب عليه ثم رماه في

وجه نصر بن الحسن بن فيروزان ضاح العلة بقيد الكفاية

من ذوي البسالة والكتابة فخفّ الله جاش نذبت ووجه على

المحادثات صدٍّ واحرف عليه الاوصن حربا بكرا على يده وعوانا

على ايدي اعوانه ومدده ثم حمل جموعه حوله شرّدتهم كل مشرّد

وطرّدتهم بين اعين البيد كل مطرّد وعلق في حبالة الاسر حسان

بن الداعي وابن هندي وغيرهما اعيان القواد واصطفق على

على جبال الله الحرب من القتلى ما اشبعت به الضباع بل سمنت
عليه الوحوش الجياع وانهزم نصر في جمادي الآخرة سنة ٣٩٠ من
بين يديه الى سمنان وكان نصر على جلالة بيته وفخامة عنيته
ودهطه مغرما بالظلم مغرى بالحيف والغشم ووافقت ولايته
مدرجة الحجيج وزوّار بيت الله العظيم وزمزم الحطيم فتملهم
عنه في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة والمعاملات
المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة وحبط عليه جمال تلك
الجملة الموروثة ولعل عنا الزمان به عددي صحيح الحجيج عنه
بالاستغاثة في حالتي الوقوف والافاضة وواصل نصر الذي بكيته
في الاستنقاد والاستنهاض من صرعة العثار فمد له في طول
التطويل بانواع التعليل والتاميل كما قيل مواعيد كما لاح

سراب المهمة القفر فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر وبلغه

بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب وشمس المعالى قد نصّا الحبا

على احتيال التحصيل والظفر به فساء ظنّا وضاق بالامر ذرعًا ونمى اليه

ايضًا ان بعض قوّاد السلطان يمين الدولة وامين الملة وكان يعرف

بارسلان هندوجيه والى قهستان قد اوقع بابى القاسم السيمجوري

واجلاه عنها الى الجنابذ فاعد السير اليه على مظاهرته والتحصن بمرافقته

ومضافرته وجعل الحطب في حبله ويفتل في ذروته وجبله وختله

وزيّن له قصد الذي معه لا ستدراكها على اسطالب الهاما لنقل الثبات

في طاعته ودخن الاهواء في متابعته فاغترّ ابو القاسم بتغريره والحز

في حريره وسار الى خوارزم فتلقاه من سرعان الكتائب من عضّ

بهم لهوات تلك المخارم والمهالك ولمّا راى ابو القاسم ان الامر جدّ

جدّ والطريق منذ خنس وداه عاضًا على البنان متحرقًا لا العارض
المحرهان وبلغ شمس المعالي خبر انصرافه مع نصر عن وجه الرّي
فقد فهما بعفاريت الاكراد من كل جانب ودحرهما عن حدود مملكته
عن غدٍ اب واصب ولما رايا ان الارض تلفظهم يمينا وشمالا وتنفيهم
جنوبا وشمالا توامرا على قصد السلطان يمين الدولة وامين الملة
مستامنين اليه ومستعدين على الزمان بالمثول بين يديه فنميا
الى حضرته وتوشحا بكمال خدمته فاما ابو القاسم فهرب على ما سبق
ذكره الى ان اودعه الحبس اسره واما نصر فاقام على الخدمة مدة الى
ان امر السلطان باقطاعه بياد وجومند طعمة له فنهض اليهما وابت
عليه همته القناعة بهما فلم يزل يضطرب في حبالته الى ان جيء من الري
وحمل منها الى قلعة استوناوند فخلت عليه حصيرا وساء ذلك مصيرا

دوكّل شمس المعالى بعد ذلك بجوالى القلاع فيما بين جرجان واستراباد

وما وراءها من احاط بهم احاطة الخلخال لحذمة البعير حتى افتتحها

عيله ومكيدته ومراعاة لحقوق الاسلام والتسليم وكيدة فصفت له

تلك الولاية بجوانبها وحواشيها وقلاعها وصياصيها بماله عُدّة

من زبد الاحقاب فيها واتفق بعد ذلك اخلاد والاصبهبذ لجيل

شهريار الى جانب المجانبة فى طاعة شمس المعالى وادعاءه الامر

لنفسه اغترارا بما اجتمع له من الوفود التفت عليه من العدد الدثر

والعسكر المجر فرمى جانب الرّي بابي على رستم بن المرزبان خال ابيطالب

فى صناديد الديلم وفيهم بيستون بن بنجاسب المقبوض عليه من قبلُ

فى التظنى بموالاته صاحبه قابوس فنصب له الحادث قراعا ومصاعًا

ودفاقا ونفاقا وكانت عاقبة امره ان كُسِر قَاسر وبادني

وتادى ابو على بن رستم مكانه لسيعاد شمس المعالى لوحشة كان

استشعرها من اهل الري واقام الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر طاعته

وشرح ما فتح الله له على يده وهاجر ابو حرب بستون بن تجاسب

الى ارضه المقدسة من فناء صاحبه وولي نعمته فانشرح صدره

وقرت بالاياب عينه وطاب بالايناس والاحسان عيشه

ولم يعجز له ولم يعجله عن الحيوة حينه وانضافت مملكة الجبل باسرها

الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالى منوچهر ابنه

سمى من لو عاش الى زمانه لرد عليه عوادى مفاخره ورجع اليه

حلى اثاره ومآثره واقتحت بعدها عليه رويان وشالوس

وما وراءها من حدود الاستنداريه فصارت ولايته تشرق بنور

العدل والاحسان وتبسم عن ثغور الامن والامان وواصل

شمس المعالى السلطان بكتبه ورسله فى عقد وثيقه يتحصن بها

من صروف النوائب ويستظهر بها على وجوه المطالب وقدم بين يدى

نجواه من انواع القرب والمبار ما خرج عن الحد والمقدار وحتى تاكدت

العصمة وتاربت العقدة واشتبكت الالفة واستحكمت الثقة

وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل البحر وديار الديلم بحكم

الحالة المتشبحة كاحدى ممالكه التى يحتكم عليها آمرا وناهيا وينبسط

فيها حاضرا وباديا فلله شمس المعالى فى همة له بين المجرة مجراها

وفي بحار الكرم واصدق فى بارقه منشيمة واوفر عقلا وحصيدة

واظهر حلما وتفضيلا واغذى للنفس لعفاف الحكمة واخرى للبدن

بكفاف الطعمة فقد فطم النفس عن رضاع الملاهى فلا يعرف اللغو

ولا البطالة ماهي علما منه بان الملك واللهو ضدان وان ليس

لیس للبقاء بهما یدان ولقد احسن ابو الفتح البستی الکاتب
فی نصرة هذا الرای بقوله اذا غدا ملک باللهو مشتغلا فاحکم
علی ملکه بالویل والحرب اما تری الشمس فی المیزان هابطة لما غدا
برج نجم اللهو والطرب نعم ولا احرص علی مصالح الضعاف الرعیة
واخذ باطراف العدل فی القضیة وابرع فی الاداب والحکم واجمع
بین درایة السیف وذلاقة القلم ورسایله موجودة فی البلاد عند
الافراد ولکنی اکتفی بلمعة من بوارق بیانه وزهرة من حدائق
احسانه اذ کان فی تصفحها ما یغنی عن الکثرة فی هذا المکان بها
فمنها رسالة انشاءها فی الترجیح بین صحابة النبی صلی الله علیه وسلم
یعقب رسایله القدیمة وقرابته المیمنة وهی بسم الله الرحمن الرحیم
اعلم ان اصعب الامور واشرفها بین الجمهور هو الخروج بالنبوة

والاستعلاء على الخلق بهذه القوة لانه تقليب الوجوه عن القبلة المعبودة
وادخال الاعناق فى قلادة غير معهودة ومخاطبة الخلق عن الخالق
خالقنا الذي لا تدركه الابصار الحداق وقد اعتلى نبينا صلى الله
عليه وسلم ذروة هذا الشرف وصار لمن سلف الانبياء خير الخلف
وفاز بمزيه هذا الذكر العظيم واذاق العرب لذة النعيم ونقلهم الى الثروة
والغنى من الفقر والفاقة واراحهم من رعاية الجمل والناقة
ولبس رداءه لابتغاء العلى امد فما فوق السماء للسمو مصعد
ثم ضبط الامر بعده عميد على نظامه واقامته فى قوامه وهذا
ما تولاه ابوبكر رضى الله عنه حين ودع عمره من غير ان يسلم
الى احد امره فانه قام به قيام ثابت القلب مستقل بمقاومة الخطب
غير مفكر في ذي توادد ولا مبال بمعاداة معاد حتى حمى حريم الدين

الدين وجمع الشمايل المسلمين ولم يرض بان يلمّ ببيضة الشريعة ملمّ
ولا ان يتغير من احكامها حكم فلقب خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بابتدائه لحياطة دين الله ثم تحصين حوزة الاسلام
من عوارض الفساد وعادية الاعداء والاضداد والمجاهدة في
استضافه ديار المخالفين الى جانب الاسلام ومجامع المسلمين
وهو ما اتاه عمر رضى الله عنه لما آل اليه الامر فانه صرف جهده
الى الجهاد وقصر وكده على افتتاح البلاد حتى اتسع نطاق هذه الملة
وخضعت الرقاب لاهل هذه القبلة فلقب امير المؤمنين اذ كان
نعم العون لرسول رب العالمين وقد فرغ النبى صلى الله عليه وسلم
من الامر الاعظم والشان الافخم واطفاء لهيب كل ملتهب على
رغم من ابي لهب والتام سبعي الشيخين رضي الله عنهما تشعب الامر من

الآخرين وبلغ من الاحكام مبلغا ليس فيه مستزاد ولا بسين ناصع

غرته سواد ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين ممهد وصراع ما تم

بناء مشيد فلم يقدروا على القيام به واحتجبوا وراء حجابه ولما

انتهت الخلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه كان منه ما كان

من تبديل زى التمسك بزينة الملك وتغيير سيرة الائمة

حين توسع فى النعمة حتى اجتنى ثمرة ما جنى ونبّه به سوء ما ابتنى

ولما عادت الى على بن ابى طالب رضى الله عنه هاجت الرياح

من كل جانب وظهرت معاداة اعداء الله بن وعميت عيون

اراء اهل اليقين وبدت الاوابد وتبدلت العقايد وتحوّل

امر الدين الى المغالبة ودول القتال والمحاربة ووقعت الخلافة

فى الخلاف وبرز الشر من الغلاف وبقى فتى العرب رضى الله عنه

عنه اضطراب لا يهدأ وفى مداواة داء لا يبرأ مع شجاعته

المشهورة ومآثره المأثورة وانتهى آخره الى ما انتهى حتى جرى

وعلى عقبه من نظرائه الطلقاء ما جرى فلينظر اذا كان الامر

اهؤلاء احق بالمدح ام اولئك قد مضى القوم وآثارهم فى الاسلام

والدين كالشمس فى الاشتهار والهباء فى الانتشار وصنعهم

صائح لحيّ على الفلاح وليس فى ايدى لحُضماء سوى السفاهة

والصّياح وقرئت توقيعاته الى بعض الفضلاء ليستقدمه حضرته

لسينوحى مسرّته محال لمن سمت به همته الى قصد من تعلو عنده قيمته

ان يكون على غيره عرجته وليبيت من سواه زيادته محجته فاما لحظه

لحظّة للمحاسن ضمّنه ان شيئت وشيئا محوكا او تبرًا مسبوكا

او درًا مفصّلا او سحرا محصّلا وكان اسمعيل صاحب بن عباد

اذا قرء خطه يقول اهذا اخطّ قابوس ام جناح طاؤس فهو كما

قال المتنبّى شعر في خطه من كلّ قلبٍ شهوةٌ حتّى كانّ مداده الاهواء

ولكلّ عين قرّةٌ في قربه حتى كان مغيبه الاقذاء ذكر الحال التي انعقدت

بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين ايلك الخان في التواصل

والتصاهر وكيف عادت على اعصل الشر قد كان ايلك الخان لمّا ملك السلطان

خراسان على العذرة بآل سامان اغتنم الطهيرة ما وراء النهر عن

كلّ منتسب الى تلك الارومة ومتشبّث بشعب تلك الجرثومة

فلم يدع هناك ذا ظفرٍ الّا قلمه ولا ذا جناحٍ الا اجتاحه وصطلمه

ثم كاتب السلطان مهنّيا له بما ادخر الله له من خالصة الملك

وصافنة الملك وظاهره اليه من ظاهرة الغرّ وباطنة الصنع

ومعتدّاً لنفسه بما وظفه من عنفوان رجائه بيده على صفقه

صفقة اقباله وعلاوة على جلاله وجماله وتردد السفراء بينهما

فى وصلة تبل رحم الحال وتوكد اسباب المودة والوصال وتحمى

حريم الثقة فى الجانبين وترفع ستر الحشمة فى ذات البين وتودى

رتبة الاختلاط الى الامتزاج وقوة الاشتباك الى الانتساج

فتصير النفوس واحدة والسواعد على وجوه مصالحها متساعدة

وانهض السلطان عند المامه كان نيسابور فى طلب المنتصر

الى ابراهيم بالطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكى امام

اهل الحديث بها رسولا الى ايلك الخان وضم اليه طغانجق والى

سرخس فى حظية كريمة عليه ونفلها فى صحبته اليه واصحبه

ما عد الحد والعد من سبائك العقبان ويواقيت البهرمان

وعقايل اللؤلؤ والمرجان وخوت الوشى والجر ونوادر البد وما يحصى

وصواني الذهب مملوة من بيضات العنبر واواني الفضة منضودة

بشمامات البرد الكافور وغير ذلك من نثارات الهنود وقطاع العود

وذكور النصول واناث الفيول تحت حداج مغشاة بذوات

التغاديج من الوان الديباج منطقة بعصائب تخطف العيون

بريقها ويصطحب على الاقتاب معاليقها وعتاق ضوامر كالقداح

لجذود مكنون الصفاح وقوائم كمنخرق الرماح وغر كنجوم الصباح

وسنابك كفلق الصفاح في مراكب بنجوم الثريا والنثرة وبنات نعش

من وراء المجرة وقرن ذلك كله باموال على سبيل الالطاف يعمر ذوائب

الاوصاف فشاء الامام ابو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي

الى ايلك الخان كريما ينقل كريمة وحمل من بحر الترك الى ايران درة يتيمة

فطلع على ايلك الخان واهل بيته طلوع الحسيم طاب ايابه

ايابه بعد ان طال اغترابه والجلب لطف عتابه بعد ان قدم

هجره واجتنابه اعظاماً منهم لقدره وفادته عن باب السلطان

فى ذلك المهم من اشان ثم لفضله فى نفسه فهو الامام المقدم

والصدر المحتشم ومن لا يقرن الى دباته ضربت له فى ابواب الفضايل

وخصوصاً في خلافيات المسايل فاقام باوردكند الى ان فرغ

امر الزفاف واديحت علته في الانصراف فعاد على جناح النجاح

مصحوباً بمجلوبات الترك من نقر المعادن ونوافج المسك ونود

المراكب وعيس الركائب وورود الوصفاء والوصايف وبيض

البزاة وسود الادباد ونضب الحتو واحجار اليشب وظرايف الصين

وغير ذلك من النفايس الملوكية واتحدت الحال بين السلطان

وبين ايلك الخان اتحاداً اشترك فيه المراتع والنعم واستهم فيه الصنايع

والخدم وبقيت على جملتها في التاخذ والتاكد الى ان نزع الشيطان

بينهما فنقلت الضماير واتخلت تلك القوى والمرايو وخشنت السراير

وتولى السيف تدبير ذلك الوصال فحل معقوده وفصل مسروده وسياتي

الشرح على الوقايع التي جرت بينهما في موضعهما على الاثر واما الان

فاني اشير الى نبذ من محاسن هذا الشيخ السفير والكامل في الامر

بالتدبير واتبعه بذكور جلالات خراسان من اعيان رعايا السلطان

يمين الدولة وامين الملة ووجوه الفضل من اوليائه فمن

منثور هذا الامام قوله شعر من نصد رفيل اوانه فقد نصدى

لهوانه يشير الى قول منثور الفقيه شعر الكلب اعلى همة وهو النهاية

في الخساسة ممن ينافس في الرياسة قبل اوقات اوباسه

وقوله العقل طبيب عيشه والعدل اغلب جيش وقوله اذا كان

اذا كان رضا الخلق معسورا لا يدرك فان ميسوره لا يترك وقوله

انما يحتاج الى اخوان العشرة لزمان العسرة وقوله من تغافل عنك

مع علمه بحاجتك الى عونه وتوفيره طلب منك علة اذا عاتبته

على تقصيره كانه الم بقول القايل شعر توق الناس يا ابن ابي دوادٍ

فهم نبع المخافة والرجاء الم تر مظهرين على عتبا وكانوا امس

اخوان الصفا نكبت بنكبة فغدوا وراحوا على اشد اسباب

البلاء ابت اقدارهم ان ينصروني بمال او بجاه او براء وخافوا

ان يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفاء ولبعض

اهل العصر فيه شعر كلام الامام امام الكلام وفوه يفوه

بدر النظام مزاج معانيه فى نظمها مزاج للدام بماء الغمام

وقوله فيه شعر الا ايها الشيخ الجليل ومن به تبلج افق الدهر

عن فلق السنر لئن كنت في الدنيا دانت وشاحها عيانا فان الدر

في صدف البحر ولم تحوك الدنيا لانك دونها ولكن دون الشي

يحصن بالقشر وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما

صين نور العين بالجفن والشفر ومن اعيان رعايا السلطان

نيسابور ابو نصر احمد بن علي بن اسمعيل الميكالي وهو صنيعة

السلطان وسنيح مملكته وجمال حملته فضلا موفورا واذا شهدوا

وغرا معقودا ومالا ممدودا وبنين شهودا وذايا كالاذى سنا

وحزما كالمرايا مضاءا ودهاء يسلخ من الليل البهيم نهارا ونظرا

يستشف استار المصادر ويستكشف اسرار الضماير وشعر النقي

السبخ والجوهر ذكي المسك والعنبر رضي المورد والمصدر فمنه

قوله شعر باني العلى والمجد والاحسان والفضل والمعروف

والمعروف اكرم بانى لبس البناء منسية آلت تشييده مثل الثناء لشاده

بالاحسان البر اكرم ما حوته حقيبته والشكر افضل ما حوته يداه واذا الكريم

مضى وولى عمره كفل الثناء له بعمر ثان فاما كتابته فالسحر الحلال

والعذب الزلال فهي تحكي بما تحويه من لطف العبارة وحسن الاستعارة

وسلسول الاشارة رياض صنعاء الى قراره ومن منثور كلامه رسائل

منها ما كتب به الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير اقرّ نبيه كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم كتب العبد وماله فيما بديه له مولاه من

شرف اقباله ورضاه ونُفيضه عليه من ملابس فضله ونعماه

وحال من يقبل عليه دنياه ويسعد في ظل دولته باولاه واخراه

والحمد لله رب العالمين وصل كتاب الامير موشّحا بدرر خطابه وغرر

الحكمة وبدايع برّه وافضاله وودايع انعامه واسباله فيما اكرمني

من غرّ العيادة والتسمية من حلل الفوز والسعادة وشرّفني به

من التهنئة على المعاقبة المستفادة فاوصل غرّا يبقي على الايام اثره

ولا يخلوا عن الزمان ذكره ومفخره وفهمه العبد فهم من آنس منه رشدا

واقتبس من انسانه قوّة وايدا وسجد لله شكرا على ما افاضه عليه

من سجال السلامة وبثّ عليه من ظلال الفضل والكرامة ورغب اليه

في اسباغ العوارف عليه وصرف المحاذر عنه ودرء المكاره عن قنائه

فاما ما اهّل الامير العميد له من تشريف كتابه ولطيف خطابه

ودفاه اليه من درجة العيادة اوّلا ومنزلة التهنئة ثانيا وانفاذ

القاصد به ثالثا فان ذلك من نتايج همته العالية ودواعي شيمة

الزاكية التي تحنوه على اوليائه وخدمه وتقطعه على اعداء نعمة ملبسه

في مقابلة ما اولاه ومعارضة ما كساه ولا الشكو يديمه والبشر يقيمه

والرغبة الى الله تخليدها فى اطالة بقائه وادامة عزه وعلائه وافاضته

بمواجب خدمته ومعرفة قدر نعمته بمنّه ورحمته هذا ولو ملك العبد

فى مقابلة هذه النعمة على جلالة قدرها ونباهة خطرها وذكرها

غير بذل المهجة والقرونة فى الطاعة واستنفاد الوسع والطاقة

غاية لبلغها تقربا الى حقوقه بما يقتضيها ويؤدّى شرط العبوديّة

فيها وحكم على نفسه بالعجز والتقصير معها واذ قد جزم المراد فيما

يتمسك الا بالرغبة الى الله فى ان يتوفى من مكافاته ما لا يسمح به الا

ولا يفى به الا مجده فهذا هو الكلام الذى ليس له غبار ولا عليه غبار

قد دل على الفضل الجبير ومات العقل رسمه وتصويره والقليل منه على

الكثير دليل وكلام الجليل كقدره جليل كما قيل شعر قليل منك

يكفينى ولكن قليلك لا يقال له قليل وقد اكثر الشعراء فى مدحه

لكنني انشدت ابياتا لابي بكر الخوارزمي فيه من قصيدة اولها زُر فالمام

الى طيف خياله لو ان طيفا كان من ابداله ولو ان هذا الدهر يشكر لم يدع

شكر الامير وقد غدا من آله لا ينتفي لا تحاح نائله ولا يسول امرء

يهفاه عن اساله الوفر عند نواله والنيل عند سواله والموت عند صياله

والخلق من سؤاله والجود من عُذاله والدهر من عماله وفعاله كمقاله

وشماله ليمينه ويمينه كشماله تجتمع الامال في امواله فتفرق الاموال في

آماله لا اعلم الاعزة في غرة لا حر الاحاله من حاله سمح البديهة ليس يمسك

لفظه فكانما الفاظه من ماله وكانما عزبانه دسوفه في حدهن خُلقن

من افعاله متبسم في الخطب تحسب انه من حسنه متهلل بفعاله

هبني وفيت لحمده عن فضله من ذا يقي بالشكر عن افضاله وله

ايضا في قصيدة اولها شعر تلك الديار فُرسية الاحقاب صنعت

صنعت لعبتي صنع سالكيهابي والى الامير بن الامير نواهقت زوجي

الوكاب براوحي التوقاب ليبسوا الدجى لبس الغراب لونيه وغد والحاجبهم

غدة وغراب والفجر يطرف والظلام كانه فضلات عنب في خلال

عتاب طلبوا اضرة الفعاله محبوبة ونواله فوضى بغير حساب غدت

المدايح وهي اسماء له ولغيره اصبحن كالالقاب والمكرمات كثيرة

الخطاب الا انها تابى على الخطاب متبسم الحجاب مكتب العدى

مثرى النديم محاذف الحساب نسيم ارق من الهواء والذ من خطا

العدو دونه لصواب وعزايم لو كن يوما اسهما لنفذن في

الايام غير نوابي ماثية الحركات الا انها تادية الاقدام والالهاب

تخطرن بين سناسية ودباسة ويتهن بين منوبة وعقاب قد صحبت

الفاظه صور النهى وتوالت الاسماع والالباب واذا خلت له حنايا

واحل خلّ المؤمّل منك الف حباب وما آل ميكائيل الا كما قال ابو الطمحان

القيني واني من القوم الذين هم هم اذا مات منّا سيّد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تاوي اليه كواكبه اضاءت لهم

احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه وما زال منّا

حيث كان مسوّدا تسير المنايا حيث سارت كتائبه وتمّا بعد من مفاخره

النجيبان ابو الفضل وابو ابراهيم عبيد الله واسمعيل ابنا احمد كل منهما

بدر في ضيائه وعلائه وبحر في تياره وتمامه غير ان ابا الفضل

ابدع في لطائف الاداب وانظم لقلائد العرب وقد سار له في

النظم والنثر ما يزري حبرة بوشي صنعاء وزهرة بروض صنعاء

فمن فصول كلامه فصل كتاب السنيح وصل فادعنت القلوب

بفضله بالاعتراف واختلفت الالسنة في تشبيهه ببدايع الاوصاف

الاوصاف فمن بدع انه دقته الوصل ودقيقة التخيل انه عقد النحر
وعقد السحر وسمط الدر وقابل هو سلاف العنقود ونظم العقود فاما انا
افترعت الخيل وسلكت التحصيل وقلت هو سماء فضل جادت بصوب
الحكم ووشي طبع حاكه سن القلم ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم
وله ايضا وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع وربط الوشي الضيع
فلقيته حلية الاحسان والابداع وحلة النواظر والاسماع وميزان الخواطر
والطبايع وصيقل الافكار والالباب وعيار المعارف والاداب
واجتليت منه تميمة فضل وتيمة مجد وثمينة عقد ولطيمة
عطر وغنيمة بر تجلو صفحة العهد وتجيل قداح الانس وتجلي
عن قدر الشكر كلام اعذب من فرات المطر واعبق من فتات
المسك والعنبر يزري بنور الخمايل وقد عطرتها انفاس الشمايل

ومن منثور الفاظه اخلاقك قد اخذت من الورد عرقه

ومن المندل عبقه اخلاق هى المسك لولا كادته والورد لولا مرارته

والماء لولا اسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر ووجه البدر

لولا محاقه والمشتري لولا احتراقه هو عائذ من العوداء وكاس من

العداء وله الشرف البقاع والامر المطاع والعرض المصون والمال

المضاع وله النوال المنسكب والراى المصيب وفيه الاباء المر والكرم العذب

وهو اول حد البتر وثانى المطر وثالث الشمس والقمر ورابع المسك

والكافور والعنبر الهفى على دهر الحداثه او غصن شبابى غض

ورق ونقل شرابى غض ودبق النعمة عروس مهرها الشكر وثوب هوانه

النشر النعمة عنده يكتسى من لونه الحاد وتشتكى غربته واسباد

ولى المعزود برسف من الرعب فى حلق ويجرى مع الريح فى طلق

طلق دادت رحى الحرب بين اعما دتباح ودماء تستباح واجسام

تطاح وادواح تنيفى بها الرياح فالسيوف للهامات رانعة والرماح

فى الاكباد والغة ومن نظمه قوله شعر لقد راعني بدر الدجى بصدوده

وكل اجفانه يرعى كواكبه فيا جزعى مهلا عساه يعود لى يالكبد بى

صبرا على ما كواكب به وله ايضا شعر ضاق ذرعى فى هوى قمر فى القلب

وما شعرا ليت احبابى به سعدت فترى الجفن الذى فترا وله شعر

تفرق قلبى فى هواه فعنده فريق وعندى شعبه وفريق وله اذا طرقت

نفسي اتول لها اسفنى فان لم يكن راح لديك فريق وله شعر انكرت

من ادمعى تترى سواكبها سلي جفونى هل ابكي سواك بها وله شعر

ان لي فى الهوى لسانا كتوما وفوادا يخفى حريق جواه غير انى اخاف دمعى

عليه ستراه يفشى الذى ستراه اخر شعر لما صديق ان راى

مهمهقا لا اطفه فان لم يكن في دهرنا دو ابنة لا اطفهو آخر لا التصبحن

بالحيوة ذائقة فكل نفس للبنون ذائقة اخر شعر وكل غنى يتيه به

غنيٌّ فمر بجح بموت اوزوال وهب جدي زدى لي الارض طرا

اليس الموت يروى ما ذوي لي ومن الافاضل العلوية ابو البركات

عليُّ بن الحسين بن جعفر بن محمد وهو الملقب جو بن الحسين بن

علي بن محمد وهو الملقب بالديباج المدفون بجرجان ابن جعفر بن محمد

الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب

امير المومنين رضى الله عنهم شعر نسب تواردت كابر عن كابر

كالرمح انبوبا على انبوب وادى النجابة لا تكون تمامها لنجيب قوم ليس

بابن نجيب وقد جمع له الله بين ديباجتي النظم والنثر فنثره منثور

الرياض عادتها السحائب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب

والترائب شعر نمن نثره فصل له احب ان تكون مكاتبتي الامير

الفا لم ترتبع وبكرا لم تفترع وسانحة لا تركب ولا تحلب فلا اشوبها بارب

ولا انسبب اليها بسبب فعل من لا يستنين ولاءه طمع ولا يشوب

دعواه عنت ولا طبع على ان الاضطرار يغير في وجه الاختيار والعذر

فيه مقبول عند ذوي الاخطار والاحرار وفلان يمسني لحق الجوار

ولقد نشر حرايد شكره واظهر حسن النشر خبايا سره فملاء الارض

ثناء والسماء دعاء وعادة الامير ان يحيي الامال ويسترق

الاحرار بالاسوال فليجعل متكرما هذا الامل محظوظا ولا يجعله محطوطا

ان شاء الله تعالى وله ايضا رقعتي هذه وها انا عائذ معوذ وقاصد

بالزيارة مقصود اخاطب اصدقائي بما اخاطب واكاتب اخواني

بما اكاتب سمائي وقدره وارضي رعدة بيننا بني الحمى ولا يفارقني

الشكوى نفسي نفسان ونفسي نفسان كان الحول شاطرني فصوله

فلبث عزته وحجوله فالربيع بين عيني وخشنومي والصيف كامن

بين صدري وحلقومي وما عرفت لعلتي هذه سببا الا اني رايت

نفس الحرية متشكية فشاركتها في شكواها ووجدت على الكرم والكمال

متادية فاحتملت منها اذاها وقلت ممثلا لا متمثلا شعر ونعود

سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعواد ثم ذكرت ما اعد الله

تعالى للعباد ومن ثواب العلة في المعاد فاستصغرت عند ذلك

ما استعظمته وسهل مسلكي وان استوعرته وقلت مسح الله ما

تلك النسمة من العلة واعطى الشيخ بها امانا من القلة واعمى

عنه ناظر الزمان ولا طرق الى فنائه طوارق الحدثان وتمنيت اني

وصلت غدوي برواحي في زيارة الشيخ مشاهدا للحال واقباله نحو البرء

نحو البر والاقبال لكون قد حيل بين العير والنزوان وعلى حالتي هذه

فاني استريح الى خبر سلامته واحصل لنفسي به منة ولا ابده الله تعالى

بما هو اهله الى يد ومنة ودانه في اتحافي به موفقا ان شاء الله عز وجل

ومن نظمه قوله شعر واغيد سحار بالحاظ عينه حكى ثنيه من البان

املودا سلحت بذكراه عن الصبح ليلة اسامره والكاس والناي

والعود رايت الثريا فوق جوزاء في الدجى كباسط كفيه لتقطف

عنقودا وكتب الى ابي الخوارزمي شعر لئن كان ذنبي انني اعتللت

فذلك ذنب صغير صغير وان كان هجري من اجله فذلك ظلم

كبير كبير صدودك عني صدود الحبيب وصدي سواك يسير يسير

فزدني قليلا تجد شاكرا لديه القليل كثير كثير وله في وصف اللقانق

شعر فان كنت تهوى اليوم اكل اللقانق فبادر الى امثال جيد الغرانق

الى جامع اللذات طيبا وجودة تقضي حقه طاه بصنعة حاذق

تراه على السفود عند صلائه كزنجية زينت بحلي الخلائق فبعض ندى

كالوشاح وبعضه منوط عليه في محل المناطق فانجح لقيت الخير في حاجة

امرء وفى بشرط الود غير مماذق ومن افاضل اضرابهم القاضي ابو القاسم

علي بن الحسين الداودي بهراة وهو عندي ممن يستحق ان يقال فيه

ما قاله الصاحب لبعض من كان يواليه لولا ان قدرة الله تعالى

عندي جنس واحد لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله

جاوز السبعين وناهز الثمانين واحد كالامام منثورا ومنظوما وثاني

الغمام معقولا ومعلوما شب للعلم خادما وشاب على العلى مخدوما فمن

منثور كلامه فصل له من كتاب وصلت سلطفة الشيخ فلطفت

لعليل بردته ووجه الصنع الا دبباج وردته لخبر سلامته التي نسيمها

نسيمها عندي نسيم الجنان والوسيلة الى السلوان وله ايضا فصل

كيف لا اعتد بصنع الله لي في تخيله وده وعقيلة عهده وقد قيضني

في الله اخا حين عز الاخاء وعدم من بين الاوداء الوفاء وكاد

لا يصدق في وجودهما رائد ولا يظفر بهما منشد ولا ناشد وصحبت

المصافاة مخاتلة ومخاترة والمخالصة مكاشرة ومتاجرة وقد كان المتحابون

في الله اقل من القليل والاسدام عليه دون الشبيبة وهو في

بردته الفتشية وله فصل من كتاب كلامي في مخاطبة الشيخ مماثل

لانعكاس شعاع الناظر ورد الفوارة ماء الغمام الماطر على المذهب الذي

ذكره علي بن الجهم في صفة الفوارة شعر ترد على المزن ما اسبلت

على الارض من صوب امطارها وله من فصل كان كل مجلس من

مجالسه للانس مرموقا وللازدياد منشوقا فكان مرويا مطمئنا

وموقدا مطفيا ومما انشدت من قلايد شعره وان كانت بالحيصى

تمثيلا وتجل عن الاحصاء جملة وتفصيلا قوله شعر ربما فضر الصديق

المقل عن حقوق بهن لا تستقل ولئن قل لا ابل نوفاء في وداد وخلة

لا يقل أرخ سترا على حقادة بري هتك ستر الصديق ليس يحل

وقوله شعر قالوا ترفق في الامور فانه نجح ومرى الدر بالابتساس ولقد

رفقت فما حظيت بطائل ما ينفع الاساس بلا ساس وله شعر وتحلوا في

كاطراف الزجاج رفقت بهن رفقك بالزجاج الى ان عذن لي

زبد الشهد كذاك تكون عاقبة العلاج وقوله شعر للعبد مسألة

لديك جوابها ان كنت تذكره فهذا وقته ما بال رفقك ليس يلحى طعمه

ويزيد لي عطشنا اذا ما ذقته وقوله في مرثية الشيخ ابي سليمان الخطابي

شعر انظر كيف تخمد الانوار انظر كيف تسقط الاقمار هكذا

هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار اوحد الدين

والمروة والفضل دمثه سبههما الا قدار مات لم يكن لدينا فنك

بجاه ولا عليه اقتدار هي مفترة اليه حذاما وهو دون افتراء ها

قرار وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات له شعر ابا القاسم

استعيدت ودى تبالد تلاه بلا من لترك طارف واضعفت

شكوي حين ضاعفت النعما وقد نضعف البنت الذى المتضاعف

صحيفة احسان تخر لحسنها سجودا اذا ما لاحظتها الصحايف

فواصلني منها شباب مساعد وطالعني منها زمان مساعف

فاصبح دهري عادلا وهو عاصف وعادت رخاء ريحه وهي عاصف

ومن اعيان نجوم الدولة ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي

الكاتب بن الكاتب والنقاب بن النقاب والبحر بن السحاب والبدر بن الشهاب

والنار التي لا يخمدها الماء ذكاء والسيف الذي بالهنا القراب مضاء
والسعد الذي يلي ومد السماء ذكاء ونماء عطارد تلميذ افادته والمشتري
مستملي سعادته وثاقب النجم عند ذهائه وشارق الشمس خادم
ذاته ودواته خدم ابوه ابو طاهر الكاتب حسام الدولة ابا العباس
تاش على ديوان اسراره بادعا في الصناعة صنعا في البراعة فحلو ما
لفصل القول مرموقا بعين الطول يناصل الصاحب اسمعيل بن عباد
فيحرق عليه قرطاس الادب ويساجله فيملاء الدلو الى عقد الكرب
مصعب لا المصعبي يضاهيه والموصلي يباهيه ولا الفارسي
يدانيه ولا السيغي يتبع بعض مساعيه يجانس نجم النثرة
نثره ويناوب شعرى المجرة شعره فهما للمعنى توم حسام دولة
وصاحب حشمته وحجاب سدته الى العباس قد جمع في

في هذا البيت الفرد خصايص اوصافه وضمّ الى واسطة المدح
اقاصي اطرافه ادل على نبوة الاعجاز ببرهان الاختصار والايجاز
واراد الله سعادة هذا الفاضل فهداه نهج ابيه وعدّاه موقف التنبيه
فانما نموّ الابناء على طيب التربة والماء ليس نموّ القامة والضخامة
لكنّ نموّ هلال الظُّلم وشبوب النار فوق العلم وصفاء الجوهر وشومه
على القدم واختصّ بخدمة الامير الجليل ابي سعيد التونتاش
خوارزمشاه اذ هو تاج الحُجّاب وناظر عين الباب فاعداه بيمنه
واعلاه بيمنه حتى لبس الملك فضفاضا وعنى عن السواد وكان
عليه بياضا وانتقل بانتقاله عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة
وعن حضيض الخدمة الى يفاع الشركة في الامارة فلم يشركه من ابناء
جنسه في البلاغة اثنان وساد حتى اعيى من بني عبد المدان

مُدّان فما وقع إلىّ من نسخ قلمه وحرّ كلمه من كتاب خاطب به

بعض اخوانه لعل الدهقان يطّبني او نزوم مع مساعدة الزمان مساعدة

الاخوان وارضى من صدر الوزارة نقلب كالحجارة فلم يزل ينل المراتب

حدّة لا للعقود قطّاعاً للاواصر والعهود وكلّما الىّ بها ازددت ارتفاعاً

الّا ازدادت للصديق اتّضاعاً ولا اتان على الايام رتبة الا ازدادت

الى الاخوان قربة غيرى من تصيّفه السلطان ويبدّله الزمان

ويذمّ عهده الاخوان على انى مهما نسيت عهداً وتناسيت وقلعت

اخيه الوفاء دون من آخيت فلست الناسى عهده ولا ارضى قطيعته

وهجرته انّى وقد قيّد لى باياديه الزهر واسترقنى بمعاليه الغر فما ارى له

بديلا ولا املك عنه تحويلا اعاذنى الله ما لقيت من صدوده ولا

سلبنى طيب الانس بمنّه وجوده وهذا القدر على سلغ القدرة دال

دال وللمنبر البادع متى قصد الانصاف فى المدح والتقريظ مجال
ومن اعيان رعايا السلطان بناحية الطوس واكانت بنيسابور
دار قراره ومعتقد ضياعه وعقاره ابو جعفر محمد بن موسى بن احمد
بن محمد بن ابى القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن
الحسين بن على ابن ابى طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
شعر نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح
عمودا قد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم وكتابهم
والتقط محاسنهم وآدابهم فالفاظه ينابيع العلوم سواقه مرابيع
العقول ومجالسه حدايق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم
تبق يتيمة خطاب ولا كريمة صواب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة
ولا طرفة حكاية ولا فقرة رواية الا وهى عرضة خاطره ونهزة

هاجته ونصب تذكره ومثال تصوره لا تضد صفيحة فكره ولا تدرس

صحيفة ذكره ولا تنكسف بدر سعادته ولا تنزف بحر لطائفه ثم هو واحد

خراسان من بين الاشراف العلوية في قوة الحال وسعة المجال والتساع

وقعة الضياع وارتفاع علو قدره لا ارتفاع واشتداد باع العز وامتداد

شعاع الجاه والفضل وقد كتبت عنه من نوادر الاخبار والاشعار ما

حكيت بعضه في كتابي الموسوم بلطايف الاداب وسأورد الان نكتا

مما قاله وقيل فيه ابانة عن غزاره معانيه فمن شعره قوله شعر

وشادن وجهه بالحسن مخطوط وخده بمداد الحال منقوط تراه

قد جمع الضدين في قرن فالخصر مختصر والردف مبسوط لو كان ادركه

لوط النبي لما ينهى لنا ابدا عن مثله لوط وله شعر قد بت غزالي فهو

ملكي حقيقة يلذ به عتبي اذا ما نبي همم جميل محياه وكالد عصر دونه

دده لطيف سجاياه وليس له خصم ويقول سمعته حال الجاهل

في التدبير كحال الحمير ماله عين غير اعتلاف التبن واتيان الاتن

وجرى حديث الوقود والشمس في الشتاء فقال مرعى ولا كالسعدان

هيهات اين تقع الام الوازنة من الام البارة يعني ان الوقود ملفح ما قابل

البدن تشبره ويدع سايره على حصره فاما الشمس فانها تقسم الدفء

على البدن بالسواء ليشترك فيه ظاهر الاعضاء وباطن الاحشاء

وقد اكثر الادباء والشعراء فيه فمن ذلك قول ابي الفتح البستي شعر انا

للسيد الشريف غلام حيث ما كان فليستمع سلامي واذا كنت

للشريف غلام فانا الحر والزمان غلامي ولابي الفضل الهمداني

المعروف ببديع الزمان فيه شعر انا في البستان رافضي في ولائك

وان اشتغلت بهولاء فلست اغفل عن ولائك يا عقد منتظم النبوة

بين مختلف المدائك يا ابن الفواطم والعواتك والترائك والارائك

انا حالك ان لم اكن عبد العبدك وابن حالك ولبعض اهل العصر فيه

يهنئه شعر عيد البرية عيد المهرجان انى اهلاً لعيدانى عيداً يهنبه

العيد لالاه تبغى الى احد وعيدنا دايم الاحسان باقية لا زال سيدنا

في ظل دولته وظله دائنا امتن يواليه محكما في دقاب الارض قدرته

يجبى له ثمر الاقبال جانبه اعتنا ده للمجد والبيسرى حلابيه خراجه

الدهر والدنيا جوابيه ونبى نيسابور داؤتنا فس اهل الفضل في ذكر

ثنائها ووصف شرفها وسنائها فمن ذلك قول ابى الفضل الهمدانى

شعر دادبيمت عراصها تخلى الاباطح واوصافه بين المروة والنبوة

والحلاوة والضيافة بها المصاحف والمعازف والسوالف والسلافة

لا ذلت باواد الكرم مصونة عن كل آفة وفيها لابى عبد الله الغواص

٩٨

الغوّاص شعر يا دار سعد قد علت شرفاتها نبنيت شبيهة قبلة

للناس لو وده وفدا ولكشف ملمّة او بذل مال او ادارة كاس فهولاء

هم اعيان رعايا السلطان فى الفضل الواسع والادب الجامع ووراءهم

من فرسان السعادة والخطابة واعلام البراعة واحداث الصناعة

من يزحف ذكرهم عن الغرض المقصود من هذا الكتاب ولم استقر

اسامى المذكورين الا لانهم بالاضافة الى ساير اعيان البلاد افراد فى

ارتفاع المراتب واتّساع الخطوط والرغائب واضطراب الصيت فى الآفاق

وصوع الايادي قلائد الاعناق ونعود الى ذكر السلطان يمين الدولة

وامين الملّة ووقايعه التى رضيتها حدود الظّبات وان سخطتها نفوس

العداة فننمى كل وقعة الى وقتها ويومها وتلحق شرح حالها بقومها الى ان

نوفى الكلام حقه من الاشباع فى الحروب التى جرت بين السلطان وبين

ايلك الخان ذكر غزوة بهاطيه لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة

من امر سجستان وسكن لدنا بضها واسجاب عنه عارضها ارتاح لغزوة

بهاطية فجرت الجحافل مستوبين لستعار الهداة الثقاة ورايات الحماة الكماة

حتى عبر سيحون من وراء المولتان الى مدينة بهاطيه فالفاها ذات

سور تزل عن سوانا يقها اجنحة النسور وقد احاط بها خندق كالبحر

المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط وهي مشحونة بمداء الروم

من عدة وعديد ومعول من حديد وكل فيل كشيطان مريد وعظيمهم

يومئذ المعروف بجيراه فاستخفته الغرة بما حوته يده للبروز من وراء

السور سهولة باعداد رجاله وانتخاص افياله واستطاوله بياعها لا فتداد

في قتاله وحضا السلطان عليه نار الحرب ثلثة ايام بلياليها يرميه

بالصواعق بين ظبى السيوف البوارق ويقذفه بالشهب اللوامع من

من شبا الرماح الشوادع وواصلها عليه صبيحة الرابع بضرب يطير
الحواجب عن العيون ويزيل القبائل عن الشوون ودشق بدع الاجساد
مناخل بل مناخر قد انفجرت عروقها واعيت على السكر بتوقها حتى
اذا توحت الشمس قمة النهار اهاب بالشد على الكفار الفجار فتجاوبت
نغم التكبير استنشار الا نصر الله وتنجز الصادق وعد الله وحمل اولياء الله
على ذوى الافك والشرك حملة كشفت صفوفهم وارغمت بالذل انوفهم
واقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب باليدين ويفذ الزراع بالنصفين
ويسقى ظماء الكفر من كؤوس الحين ومـلك عليهم فى تلك الشدة الواحدة
عدة من فيلة التى كان تعتد ها الكافر حصونا لقلبه وبعدها سكونا
لقلبه وقد تماوج الفريقان فى غبار تلك الحملة بين ثقف سرادعة الهام
وطعن نزف حشاشته الاجسام واعلى الله راية السلطان بل راية

الدين والايمان واهبّ ريح النصر رخاءً واعاد شدة المشركين

رخاءً فولى المشركين نحو المدينة اعتصاما بسورها والحصانا بدروها

فاعجلهم الطلبُ عن الاحتياط وملك عليهم مداخل الحصار وتعاون

ابناء العسكر على سَدم خنادقه وهدم ونايقه وتضافروا على تفسيح

مضايقه وتفتيح مضالقه وقد كان لجَيرا حين غلت مراجل الحروب

واختلفت مناجل الطعن والضرب احسّ بالهون والعطب وشام

بوارق الويل والحرب فاندس في عصابة من رجّالة رجاله للاستنجاد

ببعض الغياض والاستناد الى شعف بعض تلك الجبال فسرب

السلطان كوكبة من خواصّه في طلبهم فاحاطوا به احاطة الازرار

بالاعناق وحكّموا فيه حدود البواتر الرقاق فلمّا راى لجيرا هاده

عمد الى خنجر كان في حضره فهتك به حجاب صدره وانتقل الى نار الله

نار الله الموقدة التي تطّلع على الافئدة جزاء لمن كان كفر وترك

وجحد الآخرة والاولى ولا صام ولا صلّى ولا سبّح ربّه الاعلى نعم

واقبل عسكر السلطان فقتلوا المقاتلة وغنموا الاموال الحاصلة وحصّ

السلطان مائة وعشرين واسا من فيله بما يضاهيها من ذخاير

الاموال والاسلحة ملكا غزّ على غيره مناله وملكا تطفّل على حلبة

جلاله واقام بباطنية الى ان طهّرها من انجاس اولئك الارجاس

وادناس اولئك الانكاس ونصب بها من يعلّم حملة الدين سنن

الاسلام ويبيّن لهم طرق الحلال والحرام ثمّ كرّ الى غزنة موفور العدد

منصور اللواء عالي الراي سائر الحدّ على خطّ الاستواء الا انه وافق

مصرفه هوامي الامطار وطوامي الانهار وقوادع جبال وقوادع اضداد

واقتال فاستغرق الغرق جلّ اثقاله وشمل التفرّق جملة من رجاله

ووقاه الله آفة تلك المسافة ومهالك تلك المسالك وهو يتولى الصالحين

وقد كان ابو الفتح علي بن محمد البستي ينكر حركات السلطان بنفسه في تلك

المقاصد براي يستمليه من عطارد وحقاً لقد كان يقول ما تشهد به العقول

ولكن اذا جاء بهرام السيف الحسام والبطش والاقدام فقد سقط الكلام

وبطلت الصحايف والاقلام وانشدني ابو الفتح البستي لنفسه في [illegible] لنا

شعر الا ابلغ السلطان عني نصيحة يسبغها ودّ وراي محنك تجاوزت

اوج الشمس عزا ورفعة وذلك شي كل من قد تملكوا فما حركات الاو

متعبات نديمها فان فاوج الشمس لا تتحرك وهذه مسالة تتنازع

فيها الاوايل فمنهم من لم يجعل لاوج الشمس حركة كساير حركات

الاوجات فاما المحققون فقد انكروه ببراهين هندسية واشكال

برهانية ذكر غزوة المولتان قد كان بلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة

وابن الملك حين قال والى مولتان ابى الفتوح فى خبث نحلته ودخل
دخلته ونحس اعتقاده وقبح الحاده ودعائه الى مثل رائه اهل بلاده
فانف للدين من مقارته على فظاعة شره وشناعة امره واستخار الله
الحائد فى قصده لاستتابته وتقديم حكم الله فى الايقاع به وامر بضم الاطراف
وكف الذيول وجمع الخيول وضوى اليه من تطوعة المسلمين من
ختم الله لهم بصالح الاعمال واكرمهم باحدى الحسنيين فى الاول
وناد بهم نحو المولتان عند موج الربيع بسيول الانواء وسح الانهار بفضول
الانداء والامطار وامتناع سيحون واخواتها على ركابها واستصعاب
متونها على صحابتها فطلب السلطان الى اندبال عظيم الهند ان يطرق
له فى مملكته الى مقصده فتمنع وتمرد واخذته العزة بالاثم فابى وتبلد
ورأى السلطان غرة الرأى فى دهمه ذلك الخطب ان يبدء به على

عزة جانبه فبدل لُصليفه وبنيج غربفه وبمزق لفه ولفيفه جامعًا

بين غزوتين قاطفا حتى الحبنين فسبط عليه ايدى القتل والانباق

والنهب والارهاق والهدم والاحراق يلجئه من مضيق الى مضيق

وينفيه من طريق الى طريق طاويا عليه بلاده طى التجار الحضرموت

بروده الى ان صنجت الفنا من هنك خلق الدروع وسكوت التطبى من

رشف علق الحشاء والضلوع وركب اثره فى اغوار دياره واعماق رباعه

يتجسس بين دمات السهول وفضض الاماعر ويقرى عليه وحوش

الدو بين ضيق المداخل ورحب المقاود حتى اضمرته نواحي قشمير

ولما سمع ابو الفتوح والى الملتان بما جرى من امر عظيم الهند وهو اوجه

الرفيع والهند المنيع والسيف الصنيع فاس باعه بسبيره ودراعه بعتره

والقن ان رعن الجبال لا تطال بهضبات الفوز ودرق البراة لا تنال

لآمال سعات الطيور فاعجل لفكل سواله على ظهور قبلته الى سرانديب ..

واحلى للملتان للسلطان يفعل فيها ما يشاء فثنى العنان اليها مستعينا

بالله على من احدث في دينه او حدث شهو بينه فاذا اهلها في

ضلالتهم يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون ليطفئوا نور الله

بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فضرب عليهم جراز المحاجم

وكلكل المناجزة حز الغلاصم وبتكا للايدي من المعاصم

وادصادالهم بالقاوات القواصم حتى فتحها عنوة وشحنها عقابا

وسطوة والزمهم عشرين الف الف درهم يرحضون بها دنس

استعصائهم ويدرؤن عن انفسهم بهجته قسرائهم وابائهم

وغيرها ذكره بما اتاه الله من نصرة الدين واثارة معالم اليقين

عرض البحر الى رايات مصر حتى درست بها معالمها التي لم يرَ مثلها

عن ذى القرنين الى حيث انتهى من امر السدين وارتعدت فرائص الهند

والسند واخوانهما حذار بطشته وانتقامه وحقنت بها الحوى

الالحاد وطمست صوى الغى والعناد فلله در ابى تمام حيث يقول

شعر كم نلت غزوتك بالامس والخيل دقاق والخطب غير رقيق

حين لا حلة السماء بخضراء ولا وجه سنتوه بطليق ان ايامك

الحسان من الروم لحمر الصبوح حمر العنوق معلمات كانها البدر الشهراى

ايام النهر والتشريق ذكر عبور عسكر ايلك الخان قد كانت الحال قائمة

فى الالفة بين السلطان وبين ايلك الخان الى ان دبت عقارب

الفساد فى ذات البين فاضطرب الحبل الساكن واشتعل الجمر الهامد

وداعى ايلك فرصة المجاهرة بسر المكاشرة حتى اذا صمد السلطان

صمد المولتان وغادرت خوتلك البلدة وناحيته وخفت عن اعيان

اعيان رجاله ولايائه سرب سباشى تكين صاحب جيشه واحد

اقربائه الى كور خراسان فى معظم اجناده وشحن بلخ جعفر تكين

والحشيه وعدة من قواده وكان والى طوس ارسلان الجاذب

مقيما بهراة ماموراً بالانحياز الى غزنة متى نجم ناجم عناد او نعق

ناعق بفساد فاسرع الانقلاب اليها آخذا بوثيقة الحزم فى ترك القتال

وتوثقا بالحمل غاية الفصال وورد سباشى تكين هراة فاستوطنها

وندب الحسن بن نصر لصحابة الديوان بنيسابور فرتب الاعمال

وواصل الاستخراج وساءيهم كثير من اعيان خراسان لاستخفاء

خبر السلطان من جانب المولتان وتناقل الالسنة اهواء القلوب

ونوازع النفوس اخاسر ذود واذا جذب عزود وامر الوزير ابو العباس

الفضل بن احمد بالاحتياط على الطرق بين غزنة وحدود باميان

دبحيهيرة وسدها بحماة الرجال على حصانة مداخلها وصعوبة مراكبها

وطية البريد النذير الى السلطان بما اسب فى اطراف البلاد من حيات

العداة وعقارب العواد فاعجلته بديهة البلاغ عن استتمامه واعجته

غلبة الحمية عن مقامه فركب وكوب العاصف اكتاف الجهام النارق

بطوى الارض طى المهارق بين الضياع والبحاف واهتداء واعتساف

وبين سهول وطراب وسهوب شعاب حتى القى عصى القرار بغزنة

ودام العطاء لابناء دولته وانشاء حملته وملاء ايديهم بالعطايا

والرغائب وازاح عليهم بالمطايا والركائب واستنفر الاتراك الخلجية

احلاس الظهور والصوادم الذكور فنفر منهم جمع على جمع وانكانوا

نبتر كانما حيطوا عليها بالا بوحاش بهم الخوبلخ وبها جعفر تكين

فاسرع الكرالى ترمذ انفا فاضغمه الضيغم الحادر واختراسامن وثبة

ومنية الادقم الثائر واستقر السلطان ببلخ موفور الانس والجذل
كما تجتلى صفحة الشمس من برج الحمل وامر باتباع سباشى تكين بارسلان
الجاذب في زهاء عشرة الاف من ابناء الكفاح ومنجية الارواح
باشطان الرماح وسارع سباشي تكين نحو الوادى للعبور فلم ترعه
الا العاديات ضوابح والموريات قوادح فكر على ادراجه حائرا عائرا
وعطف الى مرو على ان يسرح منها الى الشط على سمت المفازة فاذا
الآباد مردومة والمناهل مطموسة ودبقة الصيف مسعورة واذيال
السوافى على المعالم مجرورة فانتهى الى سرخس وبها الحسن بن طاق
رئيس الاتراك الغزية فاحدق به احداقا وسد عليه باب الهرب
وضيق دونه وجه المجال والمضطرب فبايعه ما قدمه ثم ظفر به
سباشي تكين فقده بنصفين بعد ان قتل مقتلة عظيمة من الجانبين

واعجله ارتداف ارسلان الجاذب اباه عن فضل المقام وروح سنجام
فادخل الى ابيورد ومنها الى نسا وبينهما مرحلة واحدة كلما اصدر هذا
ورد ذاك ومتى ظعن ذلك اناخ هذا يتقاسمان امداد الطلب
والهرب حماما ولا يردان المياه الا لماما وقد كان سباشي تكين قد
حصل صدرا من المال والاسلحة من نواحي هراة وغيرها فصادت
عقلة له دون الحفوف في وجه النجاة فهو بينا من مرة وبينا اسرى اخرى
منكوسا على راسه خوف العادم من اسلام ما نودت به يداه واعياه الخلاص
بمجاشة النفس اخراالا بافراده عن جملته وتفريغ الخاطر عن الشغل به
ولما قرب ارسلان الجاذب من نساء رحل عنها متوجها الى خوسنباد
واذ عجه الطلب فخرج حائر فركب قلل تلك الجبال بين الاجام الملتفة
والغياض المحتفة والمخارق الضيقة والمخارم المضطربة وتسلط

وتسلّط الكرّاكلّه على اثقاله وافناء رجاله حتّى فنيت كتايبهم
منه واستامن الى الشمس المعالي قابوس طوائفُ من اهل جملته
بعدم المراكب وذهاب الجرايب وانفلّ هو على سمت دهستان
حتّى عاد الى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الاثقال فاصدرها
الى خوارزم شاه ابي الحسين علي بن مامون وكتب اليه يستودعها
اياها امانة ثم لا يلك الخان قبله وحذّره ان يمدّ اليها لسانه ويده
واصحبا رجّالة عسكره والعجزة منهم عن صحبته وافلتهم متوجها
لخو مرو وكان السلطان قد انحدر الى طوس مراعيا ما يسفر عنه
ركض ارسلان الجاذب على اثره والصافه الطلب الحثيث به فلما
بلغه ركوب سباشي تكين عرض المفازة اسرى على طريق مرو
معارضا له في مسيره وناقضا عليه قوى تدبيره فوصل اليها مخلصه

عن وعناء تلك البيداء فرماه بابي عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي

زعيم العرب وساير قواده رجال يرون المدح ولا يرون والوقايع تقايع

وسيوف الضراب عرايس وصفوف الكماة فرايس فكان كما قال

سعيد بن حسان شعر فررت من معن وافلاسه الى اليزيدي

ابي واقد فكنت كالساعي الى مثعب موائلا عن سبل الراعد واحاطت

به السيوف حيث لا ماء الا منابع الافواه وهي عاصيه ولا مرعى

الا اشلاء اللحم وهي عاصية فاسر اخو سباشي تكين في زهاء سبعمائة

من وجوه الافراد ودتوت القواد وامر السلطان بفراجولنا لهم

فافرغت قيود الكعابهم وجوامع لرقابهم وحملهم الى غزنة ليرى اهلها

حسن صنع الله له فيمن شاقه ونقض عهده ومثياقه ولجا

سباشي تكين في خف من العدد بجريعة الدقن فعبر جيحون

جيحون الى ايلك وقد كان ايلك عبّر اخاه جعفرتكين ثانيًا الى بلخ

في ذهاء ستة آلاف رجل لاستفساد عزيمة السلطان في قصد سبا [سني]

تكين واخراجه فتهاونوا بهم حتى فرّغ الخاطر من امره و وضع ما اقضه

من الشغل به عن ظهره ثم ثنى العنان اليهم سنّدًا اغضّ الهواء بغباره

واستغرق اوقات ليله ونهاره فلم ترعهم الا راياته باجنحة النجاح

طائرة وخيوله في صهيل المراح سايرة وكمّن لهم السلطان فلمّا

راوا الكمين انقلبوا منهزمين ينجون دعوة الخلاص يا آمين آمين

وتبعهم صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين على ساحل جيحون

كاسعًا لادبارهم ومتحثًّا في غمادهم الى ان عبروه فسلمت خراسان

من عيث سوادهم وخلت عن سبّوف جرادهم فاضطرب ايلك

خنقًا لما جرى على عسكره من الضغطة الكبيرة والصدمة المبيرة

فاستعان بقدر خان بن بغراخان للقرابة بينهما وكيدة واللحمة وشيجة

واستجره بحفي مسالته الى نادرة ومستظهرا بنصرته واظهاره واستجاش

احياء الترك من مظانها وحشر بني خاقان من اقاصي بلادها

واستنفر دهاقين ما وراء النهر في جيوش تجل عن العد والحصر وساد

في خمسين الفا او يزيدون حتى عبر جيحون مدلا بعسكره المائج

وبطشه الهائج ومعتضدا بقدر خان ملك الختن ذي العدة والعديد

والباس الشديد والايد المتين والبسطة والتمكين في رجال كالنخالي

الفوالح فوق البحور الموائج عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف

خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من خلق الله دروع يحملون

جعابا كخراطيم الفيول محشوة بنبال كانياب الغول ولما سمع السلطان

لعبوره في جمهوره وهو اذ ذاك بطخيرستان سبقه الى بلخ فاستوطنها

فاستوطنها قاطعا عنها طمعه ومالكا عليه ممتازه ومنتجعه واستعد

للحرب فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج والافغانية والغزنوية

انشاء الجد والصدق وابناء الرشق والمشق الى معسكر له على اربعة

فراسخ من البلد يعرف بقنطرة شرخيان وسيع المجال على الرجال

رحب الفضاء على الدهماء ودحف ايلك الى محاذاته في عدده الدهم

وعسكره الجم فتطارد الفرسان وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم

الطلايع امام الوقايع الى ان كفهم حاجز الليل واصبح الناس على

ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات

والبحار الزاخرات ورتب في القلب اخاه ابو المظفر صاحب الجيش

نصر ووالى الجرجان ابا نصر بن محمد الفريغوني وابا عبد الله محمد بن

ابراهيم الطائي في كماة الاتراك والعرب وساير جماهير الا مور

ومساعر الجنود ورتب في الميمنة الحاجب الكبير ابا سعيد التونتاش

فيمن يرسمه من اعيان الرجال وفرسان الزحف والصيال وندب

للميسرة ارسلان الجاذب فيمن تحت قيادته من نجوم الابطال

ورجوم القتال وحصّن الصفوف برُهاء خمس مائة من الفيلة التي

تميد الجبال من اثقالها وترتج لها الارض بزلزالها واقبل بليك فحضن

قلبه الخواص غلمانه واعلام فرسانه وولى قدرخان ميمنة في

اتراك الختن بين آجام العوامل والجنن وشحن باخيه جعفرتكين لميسرته

بكل أليس كالشجاع المجرح والحسام المرهف بين وقايات الزعف

والحجف وتحامل بعضهم على بعض محيلات المعركة سماء غمامها ينثاد

القسطل وبروقها بريق البيض والاسل ورعودها صليل السلاح

ورشاشها صبيب الجراح واستنزل ايلك عن صهوات الخيول الى

٢٠٣

الى صعيد الارض زهاء الف غلام يطلقون الشعود اصفافا وينصبون

وسايط الاهداف اهدافا فافتنكوا بالنبال تجاويف الفيول وشقوا بالنصال

سرابيل الخيول ولما جاء الامر واحتد الامر واعضل الداء واستفحل

الاعداء وذخر وادى الخطب بمده وكاد يخرج بادى الشر عن حده نزل

السلطان الى صعيد ربوة كان تنتر فيها التدبير عصفات الحرب وتلا.. في

توقات ذلك المركب الصعب فوضع لله خده وعفر شعره وارسل

دمعه وقدم ودعا الله تعالى ان يحرس ملكه ويحسن فلجه ونصره

ثم وثب الى فعدة من فيلته فحمل بها وبساير خاصته على قلب ايلك

فاهوى الفيل الى صاحب رايته فاختطفه بها من سرجه ورمى به

في الهواء من فوقه وتخلل الاخرين حطما بخرطومه وشكا بانيابه ودوسا

باطلافه وانثال اولياء السلطان على الاخرين بسيوف تلغ في الدماء

وترشّف احساء الاحشاء فطارت قلوبهم هواء واستحالت قواهم

هباء وولّوا على اعقابهم نازين وتبعهم الطلب بطبان القسر والقهر

الى ان لفظتهم خراسان الى ما ورا النهر وذلك فى شهور سنة سبع وتسعين

وثلثماية ولقد احسن السدمى فى قوله وكانّما وصف حاله ومدح

اثاره وافعاله شعر يا سيف دين الله ما ارضى العدى لو ان سيفك

مثل عدلك يعدل ما ان سننت لهم سنانا فى الوغى الا اطلّ عليه

منهم البطل والروض من زهر النجوم مضرّج وللماء من ساء الترائب

اشكل والنقع ثوب بالنسور مطرّز والارض فرش بالجياد مخمّل

يهفو العقاب على العقاب ويلتقى بين الفوارس اجدل ومجدّل وسطور

خيلك انما الفاتها اسم تنقيط بالدماء وتشكل وامتدح عند ذلك

السلطان ابو القاسم الحسن بن عبد الله المستوفى بقصيدة اوّلها

اولها شعر ظهر الحق ثابت الاركان صاعد النجم عالى البنان وهوى

للردى ذو النكث والبغى واهل العناد والطغيان وفيها شعر ما الذى

غركم محمود للحمود الحاء بكل لسان بابى القاسم المعظم ظل الله فى

الارض صعوة المنان من مساويه بهتره للمنايا غرض الحتوف والاخزان

اجهلتم بانه ملك الاملاك طرا وتاج هذا الزمان من راه فى السبب

استعاد النور من نور وجهه النيران وملك صاد من مضى من

ملوك الارض وجاء عين المعانى فخر المشرقان بالحظ منه واستطال

فاستاقه المغربان جمع الله فيه وهو قد بر عالما للكمال فى

حتمان ملك وهو فى الحقيقة عندى ملك صيغ صيغة الانسان

ملك عادل فادنى ضعيف واخوه فى حكمه سبان احد الهند

باليمانى والجوى يمينا ان اراد بالهندوانى سيفه والمنون طرفا دهان

لحو حلق العدو ويبيد دار احهلتم بانه ملك الاملاك وطـراً
وتاج هذا الزمان خذ يميني بان يخضع حقا اليميني كل سيف
يماني لو عصى حروع تسمى اليمنية طلت لجناك في السندان
غاب عن غابه الهزبر لغزو الهند مستنتزلا رضى الرحمان انما
سيفه شبيه عصا موسى بن عمران صاحب الثعبان وقد جو لبا تكم
كيد سحر فاذ لجاءت العصا تلقفوا فان فنبي واستباح واجتاح منهم
واحل النكال بالاوثان وانثنى قافلا وقد مدت الايدي فيئا
وفاز بالرضوان وسطا باسه بطاغية الترك واهل النفاق
والعصيان طلعت راية له فتولوا كعباديد ثلة من ضان شعر
كم قتيل وكم جريح وغرقى واسير في القيد ذي سقان طار ايدي
سبا عساكر وظنوا انهم ملكوا على البلدان حفظوا الملك فاعتزتهم

فاعتز ثم خطوب جرعتهم مرارة الحطبان فتجاوزتم في السجون
الوف والوف يهيم في جرجان ويمرد وفي القفار الى جيحون فتلى بها اكل
الحسان جرزا للسباع في كل فج طعما للنسور والعقبان بارك الله ربنا
في خميس رده عنا خمسين الف عنان شربوا السم عام اول لما عسوا
لنستغا بالافعوان ثم عادوا في العام بالعسكر المجر من والملاح الحسان
بوجوه مضيئة كبدور طلعت جنح ليلها الاضحيان صادموا الصخر
بالزجاج فظنوا ان نصيد والاسود بالغزلان قل لعمري يكون
ذاك ولكن ليس في كل موقف ومكان وهو شمس النهار فوق سرير
الملك وصدره في الايوان وكتب ابو الفضل الهمداني البديع الى الشيخ
الوزير ابي العباس هذا ورب الكعبة آخرها في الجعبة لقد انصف
من رامى القارة وصحا السيف ما قال ابن دارة ثم لا يزده بعدها الملك

ولا تُحلم بعد هاالملك لقد كان السلطان اذ عفرالله شعره وعرض

على الله فقره وفوّض الى الله امره واخلص لله نذره ناهضا بالله

خصمه وسال الله حوله ولم يعجبه كثرة المدد حوله شدّ الله بذلك

ازره وقوى امره واعزّ نصره واقطعه عصره واطعمه ملكه

ووادته ارضه انّ الظفر باسبابه والموفق ياتى الامر من بابه وله

من فضل بديع له سنه اتّه الجلاد ثم البلاد مساكنكم لحطمنكم

سليمان كتب اليه ليغلبنّ السلطان وراءك انّ السيف امامك

وخلفك انّ الموت قدّامك وارضك ان تاتنا اتتم نومة

ليس فيها حلم انّ للغازى صادت محاذى الا ربُّ ركض نادم وربّ

شوط ظالم وربّ عبور يودى الى ثبور وربّ طمع يهدى الى طبع الا ان

هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها وعلى السنة رداءها وعلى